

## العراق «الجديد».. ما بعد الجُنُون!

يشيد



الختون

الجمعة 16 أكتوبر 2020 04:07 ص

## العراق «الجديد».. ما بعد الجُنُون!

بلاد تصل مرحلة ما بعد الجُنُون، النّاطقُ فيها معممٌ يختصر ألم شعبها بـ«النّستلة»، ويكذب ويُدلس على الضّحايا، ومعمم آخر يُبطل الطّب بتناول «حلاوته» المقدسة!

\* \* \*

ماذا يجري بالعراق من أعلى زاخو إلى أسفل البصرة؟! هذا السؤال كثيراً ما يواجهه العراقي من قبل الآخرين، ولا يُفسر واقع الحال بالجُنُون، فهو مرض ليس معدياً، مصطلح يُطلق مجازاً على أيّ تصرفٍ مخالفٍ للواقع، وينتهي أثره بصاحبه.

وليس أشهر من المارستانات قديماً والمستشفيات حديثاً الخاصة بالمجانين، لكنّ الجُنُون عندما يتحول إلى ثقافةٍ موجهة لتنسل منها أعرافٌ تُصيب وطناً بالكامل، يصعب وصفها بالجُنُون، فلا بد من مصطلح مابعد.

أذكرُ بما نظمه صاحب العمامة البيضاء الوزير علي الشّرقّي (ت 1964): «أيها البلبُلُ المعلقُ في السّجنِ / سلامٌ كم يُوسُفُ في السّجونِ / بلبلِي هل رغبْتَ في الرّبطةِ السّوداء أم تلكَ شارةَ المحزونِ / إنني قد غدوتُ أنعمُ في الشّكِّ / لأنّي منغصٌ باليقينِ / لم أجد في العِراقِ ليلي ولكنّ / كلّ أن أمرُ في مجنونٍ» (الدّيوان).

كأن بوابة دار مجانين فتحت: رجلٌ عينَ نفسه محافظاً لبغداد، وظل يُمارس منصبه لأسبوعين، والفضائيات العالية وجدت في المشهد العراقي سلوةً، معممٌ يُهدد الأميركيّان ويُحرض، ويُحرض على قتل «البعثيين»، ثم يختفي معتكفاً، لأن الأميركيّان واجهوه بملفه الأمني السابق، يوم كان مخبراً.

أساتذة تنتظرهم سيارات القتل يسقطون قتلى عند بوابة الجامعة أمام طلابهم، بينما رابطة دينية تحتل أهم مساجد بغداد تعتبر وجود «القاعدة» لحماية أعراس العراقيين، يقابله آخر يعتبر الميليشيات الولائية تأسست لحماية الأعراس نفسها.

وبينهما من أتمنّى على أمن البلاد فتح السّجون للقاعدة ويدفع الأموال لتأسيس الميليشيات؟! فمن دافع عن أعراس العراقيين ومن انتهكها، عبر التّفجيرات واغتيال وقتل المتظاهرين؟! صاحب عمامة ضد الأميركيّان، لأنهم عطّلوا ظهور المهدي المنتظر، المرجو في تلك السنة!

تفاقت الخبرة في القتل، تحشّى بطون الكلاب والحمير بالمتفجرات، أو تُربط بها وتدخل بين النّاس، جثث تنتشل من دجلة بلا رؤوس، وشائعة بُثت أنّ على النّهر فرامة لحوم ضخمة، لفرم أجساد المدومين، والشائعة أخذت مداها في وقتها!

رجلٌ دين يتبعه مئات الألوف، وكتاب وشعراء نسوا الثقافة، يُفتي بجواز الغش في المدارس، وبأثرها تلك يظهر برلماني غاضباً من محاسبة مزوري الشّهادات!

رئيس وزراء يستخدم المسبحة (الاستخارة) في تحريك قوة ضد هدفٍ إرهابي! محافظ بغداد يترك مهامه، ليمارس ما اعتاده في موقعه الديني، فيقوم بحفل بلوغ فتيات بغداد سن التّكليف، بتوزيع الأحجبة.

وهذا المحافظ عندما اختلف مع حزبه هُدد بملفات فساد، وهو الآخر هددتهم بملفات، يُهان ويُقتل الطَّبيب عندما يفشل في علاج مريض، وعليه أن يحل القضية عشائرياً.

ابن وزير، وصاحب أعرق الميليشيا بالقتل، له صلاحية بتحريك الطائرات، فالطائرة التي لم تنتظره تُعاد وهي في الأجواء، عضو(ة) برلمان تصرح علانية يجب أن يتناسب عدد المقتولين من الشيعة العدد نفسه من السنة!

والدستور والقانون تلبسهما حجاباً، تُقدم الأحزاب مرشحيها للعمل الدبلوماسي، بهوياتهم القرائية، تكون حصة الجزائر، وتاجر إيطارات السيارات سفراء، والبنشرجي (يصلح الإطارات) قائماً بالأعمال! وبائع «كارتات» التلفونات نائب لرئيس وزراء، والعارض في برامج الطباعة رئيساً لإحدى السلطات الكبرى، بموافقة الجوار.

يصبح صاحب ورشة تصليح السيارات مسؤولاً عن أمن العراق، والمضمد يقوم بمهام وزارة الداخلية، يُحتفل بالقتلة مجاهدين، وتعلق صورهم فوق رؤوس ذوي الضحايا، ضباط كبار، ألوية وعمداء، يحاكون قراء المنابر أو المجالس والرؤايد (المنشدين المردين) وداخل ثكنات الجيش.

يقف منادون يحمسون الناس تحدياً للوباء بالحسين، كي يكثفوا اللاطمين والمطبرين، شاب معمم، وجد نفسه قائداً، يلعب في عقول الناس، ويتنقل في خطابه من تحريم الرياضة إلى منع التظاهرات إلا بشروطه، وتظهر قيادة الدولة وتدعيه ب«سيد المقاومة»! هل هذا جنون أم ما بعد الجنون يا أطباء النفوس والعقول؟!

أعود إلى الشيخ الشَّرقي، وهو يلخص مجد بلاده: «أَيُّ قُطْرٍ نَجْمَتُهُ الكرامات/بأعلى عفودها مثل قُطْرِي/فالمبادي[s1] كوفيةٌ والمعالي/حضنتها بَعْدَادُ والفضل بَصْرِي/ تربةٌ تنبتُ النُّبوغَ ونهر/دَفَعُ المجدِ في سواقيه تجري».

أيصحُّ أنَّ هذه البلاد تصل مرحلة ما بعد الجنون، النَّاطِقُ فيها معممٌ يختصر ألم شعبها بـ«النَّستلة»، ويكذب ويُدلس على الضحايا، ومعمم آخر يُبطل الطَّبَّ بتناول «حلاوته» المقدسة!

\* د. رشيد الخيون كاتب وباحث عراقي.